

# افلاطون وفلسفته

بقلم نجيب محفوظ



( صورة أفلاطون )

في فترة البؤس التي تلت حروب  
البلوبونيز وفي السنة التي مات فيها ،  
بركليس ٤٢٩ . ق . م ولد أفلاطون  
في أسرة نبيلة وقد تربى تربية أمثاله  
من أبناء النبلاء ، ومن الغريب انه لم ينهج  
نهج أقرانه الثمراء في الحياة ، فلم تجذبه  
الحياة السياسية بسلطانها وجبروتها  
ولم تحده ، ظواهر الأرستقراطية والألقاب  
وغيرها مما يتطلع اليها الشبان عموما وأبناء  
الطبقة العالية خاصة ، احتقر كل ذلك  
واطمأن إلى العزلة الفلسفية ، ولما بلغ  
العشرين صحب سقراط وتولد بينهما  
ما يتولد عادة بين الفتى الذكي المجتهد والمعلم  
العظيم ، وقد تأثر افلاطون بسقراط  
ليس فقط في آرائه ومعتقداته وإنما في

حياته وأخلاقه ، ولا يخفى أن سقراط كان مثلاً طيباً للرجل القوي الإرادة القادر على كبح  
أهوائه المتبع في الحياة آراءه وقواعده لا يجحد عنها ولو تجرع كأس السم القاتل .

وبعد موت سقراط قام افلاطون بعدة رحلات طويلة زار فيها ميغاليا ومصر وغيرها وقد  
أفادته هذه الرحلات فائدة جمة ، ففضلاً عن أنها أكسبته خبرة بالناس والأخلاق وعادت على  
نفسه بالمتعة واللذة فانها أعدت له فرصة التعرف إلى الفلسفات القديمة والحديثة كالتيثاغورية  
والميجارية وغيرها مما كان له أكبر الأثر في حياته الفلسفية كما سترى فيما يلي ، وعاد أخيراً إلى  
أثينا وهو في الأربعين حيث التف حوله طلبته وأخذ يلقى دروسه في الأكاديمية ، وخيم السكون  
والتفكير على حياته زمناً طويلاً ، ثم قام برحلتين أخريين قطعنا عليه جبل التفكير والسكون  
إلا أنه عاد إلى أكاديميته يستأنف حياة التفكير والتعليم ، ولم يكدر صفوه في أخريات أيامه

إلا الانقسام الذى نشأ فى مدرسته والذى يعد أرسطو مسئولا عنه ، وبينما كان منهمكا فى الكتابة — أو فى حفلة عرس على قول آخرين — صعدت روحه فى رفق وهدوء كأنما أخذه بالعين إغفاء .

ونستطيع أن نقسم فلسفة أفلاطون إلى ثلاثة أقسام تبعاً لأطوار حياته المختلفة : أولها طور تعلمه ، وثانيها طور رحلاته ، وثالثها طور تدريسه .

فلسفة الدور الأول : تتأثر فلسفته هنا بفلسفة سقراط تأثراً ظاهراً ، فهو يحاول أن ينشئ أصولاً عامة مطلقة للأخلاق ناهجاً نهج معلمه فى معارضة السوفسطائيين ، ويعترضنا فى منطق البحث كتابه « فيدروس » وإنه وإن صح أن أفلاطون وضع ذلك الكتاب فى ذلك العهد لحق القول بأنه توصل لمعرفة صفوة آرائه — كاعتقاده بسابق وجود الروح مثلاً — وهو لا يزال شاباً ، أما إذا أسقطنا « فيدروس » من بحثنا فيظهر لنا من تطور عقليته ( أولاً ) المحاورات التى ناقش فيها آراء سقراط مستعيراً لمهجته فى البحث والمنطق ، فالجزء الذى من انشائه هو أول ما كتب ، وفيه يتكلم عن بعض المسائل الأخلاقية كالصدقة وقوة الاحتمال ، ويعتور تلك المقالات من عدم التناسق والضعف ما يدل دلالة واضحة على أنها كتبت فى أول عهد الفيلسوف بالكتابة ، ( ثانياً ) ردوده المختلفة على السوفسطائيين بنقد ظاهر آرائهم فيما يتعلق بتأثيرهم فىمن حولهم أو بمناقضة سقراط لهم ، ثم يناقش رأى سقراط فى الفضيلة القائل بأنها معرفة تعلم كبقية المعارف ، ( ثالثاً ) معارضته فكرة الفضيلة عند السوفسطائيين المبنية على الشعور الذاتى الذى يتطلع إلى السرور لأن الفضيلة — فى رأيه — ليس لها غاية خارجة عن ذاتها فينبغى أن يحل الخير محل السرور كمقاعدة أخلاقية .

فلسفة الدور الثانى : درس الفيلسوف فى ذلك العهد فلسفة الاليين والفيثاغوريين مما أنضج فلسفته الخاصة وأوحى اليه بأعظم الأسئلة الفلسفية وأهبه لتحرير الفلسفة السقراطية من قيود الحياة العملية ، ولم يقتصر بحثه فى الأخلاق بل ترك العنان لفكره يحلق فى أجواء المعرفة باحثاً عن جذورها الأولى الموضوعية متأثراً فى ذلك بطريقة سقراط التى تجعل من أجزاء البحث نظاماً عاماً معارضا فكرة بروتاغوراس السوفسطائى الذى يبنى قوانينه الأخلاقية وغيرها على أساس ذاتي ، وكان من نتيجة بحثه أن توصل إلى معرفة نظرية الأفكار لأنه فهم أن الأفعال نتيجة المعرفة التى هى نتيجة بدورها للأفكار .

فلسفة الدور الثالث : وفيه تتمد فلسفة الدور الأول الأخلاقية مضافا إليها بحث عميق لمسائل الدور الثانى ، وانهى من ذلك بأن كون نظاماً فلسفياً عاماً كان الأول من نوعه فى تاريخ الفكر الانسانى ، وبحث فيه أبحاثاً اجتماعية تصور فيها الأمثلة العليا للحكومة والمجتمع .

ومجل القول أن فلسفته تتضمن علوماً عملية وأخرى نظرية . ولعل تقسيم أرسطو لفلسفته إلى فلسفة طبيعية ومنطقية وأخلاقية أصدق التقسيمات لأنها حصرت آفاق أبحاثه في هذه الفروع الثلاثة ، ويلاحظ أنها في كتبه ممتزجة لا تميز بينها ، غير أن الجمهورية يغلب عليها البحث الأخلاقي ويتموس تنطبع بطابع البحث الطبيعي .

### أفلاطون وبروتاجوراس :

لا يفرق بروتاجوراس بين المعرفة والادراك ، فلاشياء هي في الواقع كما تبدو لنا ، والادراك يتنزه عن الشك والاضطراب ، ولما كانت الإدراكات تختلف باختلاف الأفراد بل هي تختلف في الفرد الواحد تبعاً للأحوال المختلفة فإنه من غير المعقول أن ينهض قانونا عاما أو قاعدة عامة ، وعليه فالحقائق نسبية ليس غير ، وناقض أفلاطون هذه النظرية . ونحن نلخص أدلته فيما يلي :

(١) إذا كان لا فرق بين الكائن والظاهر أو بين المعرفة والادراك ، فإن أى حيوان له قدرة على الادراك يصبح أن يتخذ إدراكه قياساً للأشياء ، كذلك يصبح حكى وأنا عليل ، وإذن فليس هنالك ثمة فائدة من التعليم والمناظرة !

(٢) في تصديق النظرية تناقض منطقي لأن بروتاجوراس ينبغى أن يعد الناظر الذى يخطئه صادقا في حكمه وإدراكه !

(٣) إن هذه النظرية تقضي على الادراك نفسه لأنه متوقف على الموضوع « المحسوس » ولما كان هذا الأخير عديم الثبات فتغيره الدائم هذا يجعل الادراك أمراً مستحيلا .

(٤) كذلك بروتاجوراس لم يشر بكلمة إلى إدراك العقل ، فنحن قد نسمع ونرى ونشم ونلمس ونذوق بالحواس ، ولكن اندماج هذه الاحساسات ذات الأعضاء المختلفة في حيز شعورنا لا يتأتى بالحواس ، كذاك أننا نصف المحسوسات بالاتفاق وعدمه والاختلاف والتشابه كما أننا نقارن بين الإدراكات المختلفة . ليس ذلك بالحواس لأنه من رابع المستحيالات أن تتلقى إحساسات السمع عن طريق العين أو العكس (١) .

وكما ميز أفلاطون بين المعرفة والادراك ميز بينها وبين الاعتقاد ، وجعله في مرتبة بين المعرفة وعدمها . والمهم أنه لم يعتبر الاعتقاد متحققاً في المعرفة .

علاقة العلم بالفكر : السكون عالمان : عالم منظور وهو المتقدم المطرد في تقدمه ، الذى يتجه من الماضي إلى المستقبل ماراً بالحاضر . وعالم دائم ثابت غير متغير أزلى لانهائى ، ونحن

(١) يقول بعض علماء النفس بعدم استحالة ذلك . ونذكر أننا في أحد كتب وليام جيمس قرأنا له تلخيصا لأقوالهم : وهم يفسرون ذلك بأنه ان أمكن نقل أعصاب العين وشعيراتها الى الاذن لسكننا نرى أذاثنا .

نتوصل لمعرفة العالم الأول خلال الاعتقاد مستعينين بالحواس ومعرفتنا له مشوشة مضطربة .  
أما الثاني فترقى إلى معرفته معتمدين على التذكير العقلي ، ومعرفته صحيحة صادقة ، فالقوة  
العقلية هي وحدها القادرة على كشف الحجاب عن نور الحقيقة الأبدية الكامنة خلف ظواهر  
الأمور . وهذا هو العلم الصحيح ، وكان يسمى الحقائق « بالأفكار » !

النظرية المثالية : بنى افلاطون هيكل هذه النظرية الفلسفية الهامة مستعيناً بثلاث دعائم  
أولها فكرة سقراط التعميمية ، وثانيها « استحالة » هيراقليط ، وثالثها الكائن المطلق الذي  
تصوره برستيد .

كل شيء في الوجود ، كالخير والجميل ، والقوة والانسان ، والنار والماء الخ الخ ، له مثال في  
عالم الأفكار . والمثال أو الفكرة يمكن تعريفها بأنها العنصر العام للمختلفات : الانسان  
للفرد ، والوحدة للكثرة ، وهي أصل المعرفة ومبدؤها كما أنه ليس لها أية علاقة بالتجارب  
أو الحواس ، ولما كان لكل شيء مثال فهو لم يوجد عبثاً ولا صدفة ، والفكرة سابقة لتسختها  
المادية ، ولا يمكن تصور ذلك ضرب مثلاً بالدائرة فهي موجودة بذاتها قبل أن ترسم في حيز .  
كذلك جميع الأشياء المادية من كائنات حية وصفات وعلاقات لها مثال في العالم العقلي سابق  
لمشخصاتها في العالم المادي ، فالمثل مبدأ المعرفة ، ويتميز بصفتين :

( ١ ) الشمول لكل الموجودات التي من جنس واحد .

( ٢ ) جوهرى موجود بذاته وهو أتم وأكمل من مشخصاته ، والمثل مرتبة حسب

درجاتها من الكمال وعلى قمتها مثال الخير .

العلاقة بين الأفكار وعالم الحس : لم يقرر افلاطون هذه العلاقة تقررأ يطمان اليه  
لأن الأدلة التي ساقها مغلخلة بالتناقض ولم تعمل كثيراً عن القروض ، ولم ينفض عنها  
الشكوك عندما قال : إن الطواهر هي صور من الأمثلة الموجودة في عالم الأفكار ، وعندما  
ناقش فكرة الاستحالة وبحث عن حقيقتها صرح بأن الأفكار — الدائمة الجوهرية —  
هي — وحدها — الحقيقة ، وعند المادة غير موجودة وأن المحسوس ما هو إلا شبيه بالموجود  
— الموجود الحقيقي ، وفي الكثير من الأحيان يتكلم افلاطون عن العالم المنظور كما لو كان  
مظهراً يدرك بالشعور الذاتي ، وفي جميع الأحوال الذي يفهم من تقريراته هو أن الموجود  
الحقيقي واحد ، أما عالم الحس فما هو إلا صورة من ذلك الموجود الحقيقي ، ولكن لانلبث  
أن نصطدم بتناقض عظيم يقضى على هذه الوحدة في أبحاث الفيلسوف التي رجحها إلى  
الروح والجسد ، وما قرره بينهما من العداوة المستديمة ، ثم أقواله عن المادة ومقاومتها لقوة  
الأفكار الخالدة ، فكل هذا يدلنا على وجود قوتين متضادتين وعنصرين منفصلين لا قوة  
واحدة وعنصر واحد .

## فكرة الخير والكائن الالهي :

علمنا أن الأفكار في عالم العقل مرتبة تبعاً لدرجات الكمال ، أو بعبارة أخرى هي متسلسلة كل واحدة منها أسمى من التي قبلها ، ولكن لا بد أن يكون لتلك السلسلة نهاية وأن يكون للأفكار فكرة عليا هي أصل الجميع ، وتلك الفكرة هي فكرة الخير ، هي أساس المعرفة ، أصل المثل ، مبدأ الحقيقة ، منبع العقل ، وهي فوق الجميع ، ليس لها أصل فوقها ، فهي مطلقة جوهرية ، وقد يتساءل ما علاقة هذه الأفكار بالله ؟ وليس عندنا جواب صريح على هذا السؤال ، والظاهر أن أفلاطون لم يبحث ذلك بحثاً خاصاً ، وكثيراً ما يقتنع القارئ بأنه لا يفرق بين فكرة الخير والله .

## الطبيعة وكيفية الوجود :

قبل الوجود كانت توجد قوة مبدعة — كأصل عام متحرك ، وعلى جانبها العالم المشألى الدائم ، ثم السماء الذى يحوى فيه جرائيم العالم المادى ، ومن هذين العنصرين خلق الخالق « روح العالم » وهي سر قوته ونظامه وحر كته ، ثم إن القوة المبدعة بعثت روح العالم تملأ به الفراغ الذى تركه العالم حينذاك ، مقسمة إياه الى قسمين مملأها على التوالى النجوم الثابتة والكواكب . ثم قسم القسم الأخير إلى سبع دوائر خاصة .

ثم تكونت العناصر الأربعة ووجدت الدنيا فى الفراغ الذى ملأه الروح ، فكان روح العالم هى الحد الأوسط بين عالم الأفكار وعالم الأجسام ، هى الواسطة التى استندت عليها الفضيلة فى صنع المادة .

الروح : هى أبدية ، من أهم صفاتها التطلع إلى معرفة الآلة الخالد وغيره من المعانى الجوهرية أثناء تأملاتها فى عالم المثال ، غير أن اتصالها بالجسم لا يقل فى أهميته وخطره عن اتصالها بالملأ الأعلى ، وأثناء اتحادها مع الجسم تخضع لما يخضع له من الحركات والتغيرات كما أنها تتأثر بمطالبه الحسية وأطاعه وشروره ، من هنا قام النزاع فيها بين ماهو أسمى وماهو أدنى كل يحاول التغلب واجتذاب الآخر إليه فى شدة وعنف ، ولا يقتصر التأثير على الروح من الجسد وإنما هو متبادل بينهما ، والروح تحاول انتشال الجسد من ورطته ، لتسمو به فوق الشهوات ، وفي الروح عنصر خالد ينتمى إلى العقل وعنصر لا صلة له بالعقل يسرى عليه الفناء ، وبين هذين العنصرين تولد صفة الشجاعة ، ولما كان من الممكن أن توجد فى الأطفال وبعض الحيوانات فهى ليست من العقل فى شئ ، وعلى العموم نستطيع أن نميز ثلاثة أنواع للنفس : نفس عاقلة فى الرأس ، نفس غضبية فى القلب ، ونفس شهوانية فى البطن .

وعقاب الأرواح التى تتحكم فيها رغبات الخواس ، هو أن تحل مرة أو مرات فى أجسام أخرى — ربما كانت منحطة — حتى تطهر من أدرانها .

الأخلاق : تلتخص في معرفة الغرض والنهاية، فهي نظرية المثال في شكلها العملي ، تتكلم على الخير السامي ، أو الخير المطلق ، وهو في نظره السمو إلى الحق إلى المثال الأعظم ، أما غاية الروح فهي التخلص من حبال الشهوات والمطامع لكي تكون نقية عادلة وتسمو إلى مصاف الآلهة ، ولا يتأتى ذلك إلا بامتلاك عنان النفس ، وهجر الرذائل ، والسكون للفكر ، والتأمل والاستغراق في معرفة الحق أو — باختصار — التوجه إلى الفلسفة .

أما عن رأيه في الفضيلة فقد اعتنق رأى سقراط القائل بأن الفضيلة معرفة تعلم بكيفية المعارف ، أما فيما يتعلق بوحدها فقد عدّها وحدة وكثرة في آن واحد ، وحدة باعتبار أن كل فضيلة متوفرة فيها خواص « الفضيلة المطلقة » وهي كثرة بالنسبة للصفات العديدة التي تتمثل فيها ، أما أهم الفضائل الأساسية فقد استخلصها من تقسيمه السابق للروح : ففضيلة العقل الحكمة ، وفضيلة القلب الشجاعة ، وفضيلة الحس الاعتدال ، ثم أضاف إليها العدل .

جمهورية أفلاطون : هي مدينة بناها أفلاطون من تحت خياله ليوفر لسكانها السعادة، وسكانها قليلون بحيث لا يستحيل عليهم التعارف ، وكل شيء فيها رهن الفائدة العامة ، ولهذا بالدولة تنصرف تمام التصرف في الفرد وعمله وطبقته وعلاقته الجنسية وأولاده ، والأملك مشاعة كالأطفال الذين لا يعرفون أباً ولا أمّاً ، وليس لهم إلا مدينتهم يبدلون في سبيلها كل غال. والمدينة ثلاث طبقات : طبقة الأوصياء والمقاتلين والزراع وهم يعملون للدولة كما تعمل الأعضاء للجسم ، كل يقوم بوظيفته الخاصة ، ولا يضمن الصحة للجسم إلا تقسيم هذا العمل بين أعضائه كما لا يضمن السعادة للدولة إلا قيام كل طبقة من الطبقات الثلاث بالواجب الملقى على عاتقها ، ونلاحظ هنا أن الطبقات تتبع في تقسيمها أنواع الروح السابقة الذكر ، والامتلاك والزواج مباح في طبقة الزراع بينما هو محرم في الطبقتين الأخرين ولعل الباعث على ذلك هو شدة اهتمام بهاتين الطبقتين اللتين توضع إحداها للامة دستوراً وتكفل لها حريتها وتبحث لها عن خير الوسائل لأسعادها وتدافع الأخرى عنها وتكفيها شر غائلة العدو .

على أن الطبقات لم تكن جامدة ، وكان الطفل الذكي — مهما كانت طبقته يربى تربية الأوصياء كما أن ذوى العاهات كانوا يقتلون ، بصرف النظر عن الطبقات التي ينتمون إليها . إلى هنا نختتم الكلام عن فلسفة أفلاطون ولو أردنا أن نوفيها حقها من التلخيص والتعليق لما كان يكفي لهذا الغرض مجلد كبير

نجيب محفوظ

اعلم الإعداء التي تنقصك

من الإدارة مباشرة